

عالمٌ مجنونٌ وكنيسةٌ مُصارعة

الأب أنطوان ملكي

ترايسي نورمن هو أوّل عارضةٍ أزياءٍ في سبعينيات القرن الماضي. وُلِدَ ذكراً وعاش كامرأةٍ ولم يجرؤ على كشف سرّه إلا في القرن الحاليّ. لكن اليوم عدد الرجال الذين يعملون كعارضاتٍ أزياءٍ صار كبيراً جدّاً، ومنهم أسماءٌ مهمّةٌ تتقاضى مبالغ طائلة تفوق مبالغ النساء الطبيعيّات¹.

في الرياضة أيضاً يجري خلط أوراق. الرجل الذي يسمّى نفسه راشيل ماكنون ربح سباق الدراجات المخصّص للنساء. بعض الإعلام صفّق، في حين اعترض عددٌ من المدربين، وعبرت الرابحة في المرتبة الثالثة عن عدم العدالة في هذا السباق². أمّا سباقات الماراثون والجري، فتشهد من جهتها المزيد من النقاش الحامي حول سرّ الأرقام القياسيّة الذي تشهده، بسبب دخول رجالٍ متحوّلين إلى هذه السباقات، من بينهم عددٌ من الذين سبقوا قبل سنة في سباقات الرجال³. ويتحرّك بعض المعلّقين من دون أن يجرؤ على الاستنكار، خوفاً من جمعيّات حقوق المثليّين التي تمارس دور الفزاعة، بخاصّة على الحقوقيّين والإعلاميين وبعض الأكاديميين الذين يعتاشون من تغطية الدولة لأبحاثهم. في المقابل، استنكرت فئةٌ قليلةٌ جدّاً من الأشخاص وطرحت أسئلةً حول مصداقيّة هذا النوع من السباقات في المستقبل، فجماعة الدفاع عن المثليّين لن تسمح بأن يكون للمتحوّلين سباقاتهم الخاصّة لأنّ هذا فيه تمييزٌ ويتعارض مع مبادئ المساواة والانخراط التي ينادون بها. فئةٌ صغيرةٌ تدين هذه الأمور، ويكون نصيبها الاتّهام بالعنصريّة والملاحقة القانونيّة بتهم التمييز وجرح مشاعر المثليّين.

صاحب محلّ حلوى بريطانيّ رفض أن يصنع قالب حلوى لعرسٍ رجلين مثليّين، وعلّل رفضه بأنّ الأمر يتعارض مع إيمانه. فتعرّض للملاحقة القضائيّة والتشهير، حتى إنّ البعض هاجموا محلّه وآخرون

¹ Hermione Hoby. “How Tracey Norman, America’s first black trans model, returned to the limelight”. *The Guardian News*. 21 Aug 2016. [Link: theguardian.com](http://theguardian.com)

² Caleb Parke. “‘Not fair’: World cycling bronze medalist cries foul after transgender woman wins gold”. *Fox News*. Oct. 19, 2018. [Link: foxnews.com](http://foxnews.com)

³ Martin Fritz Huber. “Inside the Complex Debate Over Transgender Runners”. *Outside*. Sep 6, 2019. [Link: outsideonline.com](http://outsideonline.com)

قاطعوه، إلى أن حكمت المحكمة العليا بعدم جواز إلزامه على بيع أشخاص لا يريد بيعهم، من دون التطرُّق إلى موضوع المثليَّة⁴.

رجلٌ منفصلٌ عن زوجته وله ولدان توأم في الثامنة من عمرهما، يعيشان معه ويزوران والدتهما أسبوعياً. أحسنٌ بظهور بعض العلامات غير الاعتيادية على أحد الولدين. وبعد عرضه على الطبيب، أخبر الولد أباه بأنَّ أمه تُصرُّ على مناداته باسم فتاة، وتُجبره على تناول دواءٍ تبينَ أنه هرموناتٍ تُسببُ الخصي للذكور. لجأ الأب إلى المحكمة، لكنَّ جمعيات حماية المثليين وتشجيعهم أمَّنت للآم أقوى المحامين الذين يتقاضون أرقاماً خيالية. وكان توليهم للقضية كفيلاً بأن يأخذ من الوالد مدَّخراته كلها ويصير مهدداً بالسجن، بخاصَّةٍ لأنَّه علَّل رفضه لخصي ابنه بأسبابٍ إيمانية، وهاجم المثليين مستنداً إلى الإنجيل، فاعتبرت المحكمة الأمر تعنيفاً⁵.

الكاتبة كاتي هوبكينغ في تعليقٍ على ربح رجلٍ لسباق السيِّدات غرَّدت مُحتجَّة، ورأت أنَّ العالم يغرق في حمى الجنون. هذا كلامٌ صحيح. هذه القصص والعشرات غيرها، تتلافى وسائل الإعلام الغربية نشرها، بينما يقفُ في مقابلها إعلامٌ مجتهدٌ في تصوير المثليَّة بأشكالها المتعددة بأنَّها حالةٌ طبيعية. لكن ماذا عن بلادنا؟ حملات التسويق لتقبُّل المثليَّة تزداد عدداً ومجاهرة، بخاصَّةٍ في برامج التلفزيون. قانونياً، منذ العام ٢٠١٧، أقرَّت محكمة الاستئناف اللبنانية بقرارٍ يسمح بتغيير قيد مواطنٍ متحوِّلٍ جنسياً من ذكرٍ إلى أنثى⁶.

إنَّ أكبر مشكلةٍ في مواضيع التحوُّل والمثليَّة والجنس هي أنَّها تُوضَع في إطار العدالة. وكون الأدبان، والمسيحيَّة أولاً، المعترضِ الأول، يصير جهاد المدافعين عنها موجَّهاً ضدَّ الدين. الواقع أنَّ المجتمع الداعم في لبنان همُّه الأول إدانة الدين، مستغلاً مواقف العنف التي يتَّخذها بعض رافضي المثليَّة والتي تُسيء بالدرجة الأولى إلى خلفيتهم الإيمانية. ما ينتج هو صرف النظر عن القضية الأساسية، إذ يتحوَّل المثليون والمدافعون عنهم إلى مظلومين، وأصحاب حقٍّ، ومُعتمدى عليهم. وهنا تبدأ مزايدات الجاهزين لقول أيِّ شيءٍ

⁴ Robert Barnes. "Supreme Court passes on case involving baker who refused to make wedding cake for same-sex couple". *The Washington Post*. [Link: washingtonpost.com](http://www.washingtonpost.com)

⁵ Emily Jones. "Father Says 6-Year-Old Son Refuses Mom's Demand to Dress Like a Girl - Now He's Being Charged with 'Child Abuse'". *CBN News*. [Link: cbn.com](http://www.cbn.com)

⁶ سحر مقدم. أن تكون متحوِّلاً جنسياً في الشرق الأوسط. رصيف 22. 26 حزيران 2017. [Link: raseef22.net](http://www.raseef22.net)

مقابل رفع شعبيّتهم أو زيادة عددٍ معجبيهم. هذا كلّه في ظلّ نظامٍ قضائيّ هشٍّ ومتخلفٍ، وضمن مجتمعٍ محكومٍ بالغرائز والنكيات، حيث المبادئ في أغلب الأحيان لا تتعدى كونها موادّ خطائيّة.

ما يجري ليس حالاتٍ معزولة، بل جزءٌ من موجةٍ تعكس السقوط البشريّ في أبشع صفاته، وتنقل تحدّي الله الذي كان في الماضي مجرد نشاطٍ فكريّ يتبناه بعض الفلاسفة والمفكرين، لكن تُحوّل هذا التحديّ إلى طريقة حياةٍ يتبناها مرضى مجنّبيّ عليهم في أغلب الأحيان من عائلاتهم ومحيطهم. ويأتي دور بعض أصحاب الفكر المستكبرين في تحويل هذه الحالة إلى تيارٍ يتّسع، في ظلّ تغطيةٍ إعلاميّةٍ تدّعي العلم ولا تستند إليه، ولا تعرف الدين بل تسعى لكسره. إلى اليوم، ليست ثابتةً الأسس التي يدّعي المثليون والمدافعون عنهم الاستناد إليها، سواء في كون المثليّة مولودة أم في الأرقام التي يوردونها. العلم واضحٌ بأنّ المثليّة خيارٌ مكتسب.

هناك ما يكفي من الدراسات والكتابات التي تؤكّد أنّ المثليّة مرض. وهذه المعرفة لمن يريد أن يعرف. من الناحية الإيمانيّة، الكتاب المقدّس والتقليد يعتبران المثليّة مرضاً في بداياته وسقوطاً إذا ما ثبت الإنسان فيه. في العمق، ليست قضايا المثليين والجنس قضايا علم، بل موقفٌ من الله كخالقٍ لهذا الكون بحكمة، يتناول عليها الذين يدأبون على تبرير تغيير الجنس أو تشريع الشذوذ. ليست المثليّة مخالفةً لوصيّةٍ أو آيةٍ فحسب، كالتدخين مثلاً، بل هي تحدّد لله كخالق، وقولٍ بأنّه مخطئ ولا يعرف ما يفعل. بالطبع، هذا لا يبرّر أيّ عنفٍ نحو المثليين أو أيّ رفضٍ لهم، بل هو دعوةٌ إلى إيجاد أطرٍ تربويّةٍ على مستوى الكنيسة ككلّ، مروراً بالرعايا وصولاً إلى العائلات التي هي الأساس في التربية، بحيث ينشأ الأولاد في اتزان. المثليّة في وضعها القائم وجهٌ من وجوه التطرّف الكفريّ. من الأمثلة البسيطة على هذا التطرّف أنّ غالبيّة المشاركين في أنشطة المثليين من تجمّعاتٍ دعمٍ وحملاتٍ مناصرة، ومنها الحفلة التي جرت دعماً لمشروع ليلى مؤخراً في بيروت، يرفعون بأصابعهم شعار رأس العنزة وهو شعارٌ شيطانيّ، دون أن يعلموا ذلك ودون أن يقصدوه. لكن بهذه الأمور الصغيرة يُدخّل مراهقونا في حلقاتٍ لم يسعوا إليها.

تساقط كنائس الغرب الواحدة تلو الأخرى أمام ضغط السياسيين والمنحرفي التفكير، فتتكرّر للإنجيل وتشرّع زواج المثليين. حتّى الكتلّة ليست بمنأى عن ذلك، بخاصّة في وجود فرنسيس على رأسها. المسيح أوصى بالمحبّة لا بالتملّق، وأوصى بالحكمة لا بالتسفيه. أن يعرف الإنسان خطيئته

ضروريّ، لكن أن يتّخذ خطيئته حجّةً لكي لا يدين الخطأ، لا الخاطئ، فهذا تواضعٌ كاذب. لا تأتي
المناعة من أنظمةٍ ولا من أحكام، بل تأتي من الله، عندما يتجلّى في كنيسته وعائلات أبنائها. العالم ينتقل
من جنونٍ إلى جنون، ومن دركٍ إلى درك. نحن في العالم ولسنا منه، هكذا قال سيّدنا. بعضنا يريدنا في
العالم ومنه. هذا صراعُ الكنيسة منذ أن وُجدت ولا خيار لنا إلا قوّة إلهنا.